حفريات مديرية الآثار العامة

خلال العام الفائت

آ ـ حفريات بصرى[1] :

يحتل مسرح بصرى مكانة الصدارة بين أطلال الأوابد التي خلفها العهد الروماني في سورية ، ويعد من أشهر المسارح القديمة وأكثرها روعة . وهو يقع إلى الجنوب من مدينة بصرى فوق قلعة نبطية كما يقال . ويظهر أن المسلمين استفادوا من موقعه منذ العهد الأموي أو العباسي ، فحصنوه وجعلوه قلعة منيعة بنيت أكثر أجزائها في زمن الأيوبيين ، وجعل حولها خندق عميق .

وقد رأت مديرية الآثار العامة وجوب الاهتمام بهذا الأثر العظيم ، ونزع الأنقاض التي تخفي كثيراً من أقسامه . ولم يكن هذا الواجب سهلاً . إذ أن جهود أربع سنوات انقضت بين سنتي ١٩٤٧ — ١٩٥٠ في رفع آلاف الأطنان من الأتربة وزحزحة الكتل الهائلة من الأحجار المنهارة ، دون أن نتوصل إلى القيام بكل ما يلزم عمله في هذا المضمار . ومهما يكن فان النتائج العلمية التي حصلنا عليها تستدعي منا عرضها بايجاز في هذا البحث المختصر ، قبل إذاعتها في دراسة نهائية مفصلة عند انتهاء الأعمال .

وأول ما يجب ذكره من هذه الأعمال ، أن بناء القلعة الاسلامية لم يكن على دفعة واحدة في زمن الأيوبيين كما كان يظن . فقد ظهرت كتابة منقوشة على حجر مستطيل من البازلت في البرج الذي يقع في الجهة الشمالية الغربية . وهي تؤيد أن هذا البرج قد بني قبل عهد الأيوبيين كالبرجين اللذين يقعان بقربه وهذا هو نصها :

(١) هذا البحث مأخوذ من تقرير السيد سليمان المقداد مراقب الآثار في بصرى عن أعمال مديرية الآثار العامة في مسرح وقلعة بصرى .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليماً . أمر بعمارة هذا البرج المبارك الأمير الاسفهسلار الأجل السيد الكبير المؤيد المظفر العالم العادل معين الدين سيف الاسلام فخر الدولة حسا(م) الملك عز الأمة صفوة الخلافة نصير الملوك والسلاطين قاهر الكفرة والمشركين تاج الخواص بهلوان الشام . ألب غازي بلكابك أتابك أبو سعد (أو سعيد ؟) ابن عمدة أمير المؤمنين في شهور سنة اثنى وأربعين وخمس ماية » .

أما النتائج التي أحرزناها في أقسام المسرح الروماني فانها تفوق ما ذكرنا ، لأنها على أهمية بالغة في إظهار ما خفي من هذه الآبدة ، وتصلح لأن تكون أساساً مكيناً ترتكز عليه دراسة علمية صالحة تختلف عن الدراسات التي ذكرها بعض العلماء عنه (٢) . وتصحح ما ورد من أخطاء ، وها نحن أولاء نذكر بعض عناصرها بإيجاز :

١ — الرواق العلوي :

كان باقياً من طرف المسرح العلوي جدار متهدم كانت أقسامه وراء أعمدة لم يبق منها حالياً قائماً غير عمودين من الطراز الدوري . وقد عثر خلال الحفر بين أنقاض القسم المتوسط من مدرج المسرح على أجزاء ستة أعمدة أخرى شبيهة بالعمودين المتقدمين ، مع قواعدها وبعض اطاريفها العلوية . فأعدنا تركيب اثنين منها جانب العمودين الأولين . ونصبنا الأربعة الباقية في الجهة الجنوبية فوق قواعد قديمة كانت وما تزال في هذا المكان .

٢ — الدرجات :

وتبين من الحفريات التي جرت حتى الآن ، أن للمسرح خمساً وثلاثين درجة تقسمه الى ثلاثة طوابق . ويوجد خمس منها في الطابق العلوي ، وثماني عشرة في الطابق الأوسط ، واثنتا عشرة في الطابق الأسفل ، ولا يعرف بعد ، إذا كانت توجد درجات أخري في هذا القسم . وتختص بعض الدرجات أنها تحمل أحرفاً وأرقاماً لاتينية .

---

(٢) أم المصادر التي كتبت عن هذا المسرح هي :

1) Brunnow und Domaszewski : Die Provincia Arabia, p. 47-84.
2) Margaret Bieber : The History of the the Greek and Roman theater. p. 371.
3) G. Rey: Voyage dans le Hauran. p. 184.
4) M. de Vogüé. Syrie Centrale. p. 40.

٣ – الممرات :

وتم الكشف عن كل الممر الذي يفصل الطابق العلوي عن الطابق الأوسط ، وعن جزء من الممر الذي يفصل الطابق المتوسط عن الطابق الأسفل من الدرج . ويلاحظ أن ارتفاع الأنقاض كان يتراوح هنا بين (٢ — ٣ أمتار) . وقد عثر بين هذه الأنقاض على (٥٢) مقعداً من البازلت التي كانت ترتكز على الدرجات ، وتستخدم لجلوس المتفرجين .

٤ – الأبواب :

وعثر على عدة أبواب جديدة في مسرح بصرى ، حتى بلغ عددها ثلاثة وعشرين باباً . ولا يمكن معرفة ما بقي منها مخبوءاً لوقوعها تحت الرواق الأيوبي الملاصق لجدار المسرح في القسم الأوسط من جهة الخارج . وهي تشبه بصورة عامة ما يماثلها في المسارح الرومانية . ومنها سبعة عشر باباً تؤدي إلى خارج المسرح ، وبعضها جانبي ويصل بين الممر العلوي والممر الأوسط تحت الدرجات ، وبعضها بين هذين الممرين ومكان التمثيل (العرينة) .

٥ – الممر الداخلي :

كانت الأنقاض ترتفع حتى أربعة أمتار في بعض الجهات ، فأزيلت وظهرت بينها عشرة من مقاعد الطابق الأوسط من المدرج . وكان هـذا الممر يتصل بالممر العلوي عن طريق سبعة أبواب ، وبالممر الأوسط عن طريق خمسة أبواب ، وبخارج المسرح عن طريق أربعة أبواب . غير أن هذه الأبواب الأخيرة مسدودة حالياً بالبناء الأيوبي .

٦ – الألواج :

كانت مطمورة تحت عشرة أمتار من الأنقاض . وعددها خمسة في كل جهة . وقد ظن برينوف أشهر مؤرخي المسرح أنها نوافذ . غير أن وجود بعض المقاعد الحجرية في أحدها لا يترك شكاً في أنها الألواج . وقد عثرنا في اللوج الثالث في الجهة الغربية على بقايا نقوش ملونة مرسومة على الجص ، تتمثل فيها مواضيع نباتية مختلفة .

٧ – منصة التمثيل :

كانت الانقاض ترتفع في جهة منصة التمثيل الشرقية حتى ارتفاع أربعة عشر متراً . وهنا

كان مبنياً المسجد الأيوبي . وظهر أن هذه المنصة كانت مسقوفة بالأخشاب وأن هذا السقف كان يميل نحو الجدار الداخلي للمنصة . وذلك لتضخيم الصوت كما هو الأمر في بعض المسارح الرومانية في آسيا الصغرى . وأبانت أعمال الحفر في الزاوية الشرقية ثمانية أعمدة من الطراز الكورنثي ، ومعها بعض أقسام مما كانت تحمله من رفاريف ، وخمس قواعد لأعمدة أخرى . وكانت توجد فوق هذه الأعمدة الكورنثية أعمدة دورية . وهذا يخالف ما كان شائعاً في العمارة الرومانية مع وضع الأعمدة الأخيرة في الأسفل والأولى في الأعلى . ولا يقل أهمية عن ذلك ما اكتشف من طبقة من المرمر ما تزال في مكانها أمام جدران الزاوية الشرقية وجدار المسرح الأوسط وفي الزاوية الغربية . وهو شيء نادر الوجود في بقية المسارح الرومانية ، ويعطينا فكرة عن تزيينها .

٨ — أرض المنصة :

وأظهرت أعمال سنة ١٩٥٠ الأخيرة أرض مكان التمثيل . وتبين أن أساسات القاعات الاسلامية قد ارتكزت على جزئها الأمامي . والدلائل الحاضرة تشير إلى أنها كانت مرصوفة بالأحجار البازلتية في قسمها الأمامي وبالفسيفساء في قسمها الخلفي .

٩ — الممر الخلفي لمنصة التمثيل :

وأزيلت الأنقاض من الممر الخلفي لمنصة التمثيل ، والذي كان معداً لانتظار الممثلين . فظهر أن طول هذا الممر كان (٥٢٫٥ م) ، وأن عرضه (٣ م) ، وعمقه (٦ م) ، وبدت أبواب المسرح الثلاثة التي كانت له في هذه الجهة والتي تشبه ما يماثلها في بقية المسارح الرومانية . كما ظهر لدينا امام المدخل الغربي بقايا جدران ، يظن أنها كانت لبناء رواق طويل محمول على أعمدة كان المتفرجون يعتصمون به حين هطول الأمطار .

ب — حفريات مديرية الآثار العامة في مدينة الرقة القديمة :

ومن المشاريع التي تعقد عليها مديرية الآثار العامة أكبر الآمال حفريات مدينة الرقة القديمة لأن هذه المنطقة تضم أكبر مجموعة من الأطلال الاسلامية بين كل مناطق الشرق الأدنى ، ولأن التنقيب فيها كفيل باظهار كثير من مخلفات العصر العباسي التي يقل وجودها في بلاد الشام ، والتي يحتمل أن تحوي ما يشبع رغباتنا في معرفة فنون بناء ونحت وتصوير ذلك الزمن ،

وإكمال ما أظهرته حفريات سامراء في العراق من معلومات . ولا يخفى أن الرقة واقعة على ضفة الفرات اليسرى ، بين هذا النهر ورافده نهر بليخ ، وأنه تعاقبت في أرضها منشآت متعددة من عصور مختلفة (١) . فقد بنى هناك الاسكندر الكبير مدينة (نيكوفوريون) خلال حملته على (تابساكوس) في دجله . ثم تبدل هذا الاسم وأصبح (غالينيكون) نسبة إلى الصوفي (غالينيكوس) من البتراء الذي قتل فيها . وأخيراً صارت تدعى باسم (ليونتوبوليس) نسبة إلى ليون الثاني (٤٧٣ — ٤٧٤ م) . ولم يبق من هذه المدينة حالياً إلا جزء صغير من سورها المربع القديم الذي بني من الآجر والملاط ، في شرقها وشمالها .

وفتحها العرب بقيادة أياد بن غانم سنة (١٨ هـ = ٦٣٩ م) . وسميت بالرقة . ولما حان زمن العباسيين قام ثاني خلفائها المنصور ، وكلف ابنه المهدي ببناء مدينة فيها سنة (١٥٥ هـ = ٧٢٢ م) كما يقول البلاذري ، ودعيت باسم (الرافقة) . فنشأت هذه المدينة على شاكلة بغداد واحتذي فيها نموذج جديد في بناء المدن ، ذر قرنه في ذلك العصر ، فجعل لها سور مستدير مزدوج على شكل نعل الفرس ، وأجريت إليها قناتان من الماء وأقيمت فيها حامية من الخراسانيين للدفاع عن حدود بلاد الشام ضد البيزنطيين . وما زالت إلى اليوم بقايا مهمة جداً من سورها هذا قائمة . ومنه باب بغداد المشهور الواقع في شرقي هذا السور والذي يعطينا فكرة عن أصول البناء بالآجر والأسلوب الذي كان يزخرف به ؛ وقلعتها ، ومسجدها الكبير الذي رممه نور الدين زنكي في القرن الثاني عشر .

وأتى هارون الرشيد فبنى مدينة الرقة خارج سور الرافقة إلى الشمال نحو سنة (١٨٠ هـ = ٧٤٧ م) وجعل فيها قصوراً ضخمة وأبنية فخمة . وكان يقيم فيها هو ووزراؤه وأعيان دولته وخاصة الأمراء البرامكة . وظلت الرقة مزدهرة حتى تعاقبت الغارات المغولية على منطقة الفرات في القرن الثالث عشر الميلادي ، فتخربت منشآتها وانحط شأنها ، وصارت تجرر أذيال حياة متواضعة كأنها قرية . وما زالت على هذا الشكل حتى عاد الاهتمام في العصر الحاضر ، إلى

---

(١) للاطلاع على المصادر الأجنبية والعربية التى بحثت في تاريخ الرقة تستحسن مراجعة :
١) مقال هونغمان Honigmann عن الرقة في الموسوعة الاسلامية .
٢) بحث كريزويل Creswell عن هذه المدينة في الجزء الثاني من كتابه Early Muslim Architecture .
٣) مقال جان سوفاجه J. Sauvaget عن فخار الرقة في مجلة (أرس إسلاميكا) الجزء (١٣ — ١٤) الصحيفة ٣١ وما يليها . ففيها وفي هوامشها ذكر وافر لكل المؤرخين الذين كتبوا عنها .

العناية بمنطقة الفرات ، فدب النشاط فيها ، وبنيت مدينة حديثة في جنوبي سور المدينة القديمة وأخذت هذه المدينة تتسع في كل الجهات .

وتمتد خرائب مدينة الرشيد كما قلنا خارج سور الرافقة بين نهري الفرات وبليخ وهي مطمورة بالأتربة والطمي التي حملتها الرياح والمياه . ولا يمكن رؤيتها من على سطح الأرض . ولم يدر الأثريون بوجودها إلا بعد تدقيقهم في الصور الجوية التي أخذت لها من الطائرة ، والتي أبانت أن قناة آتية من الفرات كانت تجري بين أبنيتها الضخمة ذات الأبعاد الكبيرة جداً . ومما تجدر ملاحظته أن قرى حديثة منها (المشلب) و (الحليسات) نشأت بجوارها ، واستعمل سكانها ويا للأسف قطع الآجر القديمة في بناء بيوتهم بعد أن نبشوها من الأبنية الأثرية .

وصفوة القول إن منطقة الخرائب واسعة وتمتد على عدة كيلو مترات مربعة ، وتضم ولا شك أطلال الرقة البيضاء والرقة السوداء التي يتحدث عنها المؤرخون العرب . وقد قامت مديرية الآثار القديمة في سنة ١٩٤٤ ، لأول مرة بحفريات في أحد قصورها . ويقع هذا القصر إلى الشمال على بعد نحو (٤٠٠ متراً) من سور الرافقة وفي مكان أشرنا إليه بحرف (A) من المخطط (١) . ولم يتم لأسباب كثيرة ، إظهاره كله . ونحن نأمل أن ننشر على صفحات هذه المجلة ، لما تتهيأ الظروف والامكانيات ، تقريراً مفصلاً عن هذه الحفريات بقلم من أشرف عليها (٢) . ثم عزمت مديرية الآثار العامة الحالية على تركيز مجهوداتها التنقيبية في هذه المنطقة الممتازة ، فأرسلت بعثة من موظفيها الفنيين على رأسهم الأثري الشاب السيد نسيب صليبي (٣) في شهر تشرين الأول . فعملت هذه البعثة حتى شهر كانون الأول وقامت بعدة أسبار في مناطق الأطلال الظاهرة في الصورة الجوية . غير أن هذه الأسبار لم تقترن بنتيجة ما ولا سيما في المنطقة المشار إليها بحرف (B) . لأن جدران هذا البناء قد انتزع السكان الجدد آجرها كما فعلوا في عدد كبير من الأطلال الأخرى وبنوا منه مساكنهم . ومهما يكن فان عمل بعثة مديرية الآثار العامة بدأت تظهر نتائجه عندما قامت بأسبار أخرى في منطقة (C) ، حيث عثر على جدران من الطوب . ويقع هذا المكان إلى الشمال الشرقي من سور الرافقة على جانب الطريق الممتد من مدينة الرقة الحالية الى (الخان) وهو مكان على نهر بليخ ،

---

(١) إن هذا المخطط وغيره من المخططات وصور الحفريات منشورة في القسم الغربي من المجلة خلال صفحات البحث المتعلق بها فيرجى الرجوع إليها .

(٢) أشرف على هذه الحفريات العالم الأثري المشهور المسيو موريس دونان ، والمهندس ريموند دورو .

(٣) نحن نجمل فيما يلي تقريره عن هذه الحفريات .

ويبعد (٢٫٦٠٠ ك . م) عن باب بغداد . وتتألف سويته من مجموعة مرتفعات صغيرة متطامنة ومتلاصقة على شكل مستطيل طوله نحو (١٢٠ متراً)، وعرضه (٨٨ متراً) . ولم نلبث أن تأكد لنا أن هذه المرتفعات تخفي أطلال قصر كبير مستطيل الشكل مبني من الطوب، وتتألف أبعاد كل منها كما يلي : (٣٢ سم × ٨ سم) . وأحياناً وجدنا بعض الجدران مبنية من الآجر ولا سيما في القسم الشمالي الذي تم تنقيبه . وجدران القصر غليظة بوجه عام، والخارجية منها مدعومة بأبراج نصف مستديرة . ويبلغ سمكها في بعض المواضع (١٫٦٥ م) . وتتخللها أحياناً أعمدة خشبية لتقويتها . ويتألف القسم الذي كشفنا التراب عنه من بهو كبير ووراءه قاعة كبرى، والى شمالها فناء واسع، والى غربها رواق طويل والى شرقها قاعة للتغسيل . وفي شرق البهو الكبير دهليز وخمس غرف صغيرة .

ولم نصادف في أرجاء هذا القصر التي تم الكشف عنها أي نص مكتوب، ماعدا فلس نحاسي عليه كتابة تذكر أنه مضروب بالرافقة سنة عشرة ومائتين . فهو من زمن الخليفة المأمون . وإذا جاز لنا الاعتماد على هذا الدليل، لأمكننا أن نقول أن هذا القصر قد تهدم بعد هذا التاريخ، وأنه بني في أواخر القرن الثاني الهجري أو الثامن الميلادي، اي في عصر الرشيد أو المأمون .

وأول ما عثرنا عليه من هذا القصر الجدار الجنوبي للبهو رقم (١) الذي يتجه من الشرق إلى الغرب بانحراف قليل، فتتبعناه، فاذا بنا نجد أن له خمسة أبواب، وأن لكل منها عتبة يبلغ ارتفاعها (١٥ سم) . ثم ان عرض كل باب من هذه الأبواب يبلغ نحو (٢٫٨٠ م) ماعدا الباب الأوسط الذي يبلغ عرضه (٣٫٥٠ م) . ودرنا حول زاوية هذا الجدار من جهة الغرب، وتوصلنا الى إيجاد جدار القصر الخارجي الذي تدعمه أبراج نصف مستديرة .

وعثرنا أمام الأبواب المتقدمة على عدد من القطع الجصية المخرمة المحطمة، التي ما زال بعضها يحيط بكل باب كطرفي إطار، ملتصق على طبقة من الآجر والمونة الجصية . أما البهو رقم (١) فكبير، ويبلغ طوله (٣٠ ، ٣٥ م)، وعرضه (٤٠ ، ٤ م) . ولم نجد بين مئات أطنان الأنقاض التي رفعناها من سطحه على شيء يذكر اللهم الا على قطعتين من دعائم خشبية يبلغ طول كل منها نحو (١٫٥٠ م) . ويظن أن هذه الأعمدة كانت ضمن جدران البهو لتدعيمها . ولاحظنا انهيارات متعددة في الجدران، حيث ارتكزت أجزاء مختلفة من الاقسام العلوية لهذه الجدران بصورة مائلة على ما بقي قائماً من أقسامها السفلية . وكانت سرعان ما تتساقط

كما حاولنا عزلها عن الأنقاض . ويختص الجدار الشمالي من هذا البهو أن فيه أيضاً خمسة أبواب أخرى تقابل الأبواب الأولى . وتتصل الثلاثة المتوسطة منها بقاعة كبرى رقم (٢) طولها (٢٣٫٦٠ م) ، وعرضها (٨٫٧٠ م) . وقد عثرنا في داخل هذه القاعة على حطام من آنية زجاجية ذات ألوان متعددة تحولت الى كتل ملتوية كأنها قد تعرضت إلى حرارة عالية . وبعضها مدهون ، وعليه رسوم . وترى عليه أشكال نباتية تشبه السنبلة . وكذلك وجدنا قطعة خشبية ربما كانت من سقف هذه القاعة . وهي محفورة ومزينه بمواضيع نباتية ملونة ومذهبة . وفي جوار كل باب من الأبواب المتقدمة عدد من قطع جصية منحوتة لمجموعات كانت تزين ، على أشكال إطارات ، هذه الأبواب . وتختص المواضيع المتمثلة فيها أنها هندسية ، وتتداخل فيها المسدسات والمربعات والمثمنات وبعض هذه القطع مسودة من جراء حريق يظن أنه التهم هذا القصر . ويقوى هذا الشعور في نفوسنا بعض قطع الأخشاب المجروفة التي عثر عليها هنا وفي غير هذه القاعة ، وطبقة من الرماد وجدت في أرض فناء القاعة (٢) . ولهذه القاعة باب غربي يؤدي إلى بهو مستطيل رقم (٣) ، يعتمد في غربه على جدار القصر الخارجي . كما ان لها باباً شرقياً يتصل بالقاعة (٤) التي تدل آثارها على أنها كانت تستعمل للتحمم أو التنظيف . إذ أن فيها فوهة لتصريف المياه ، وجدرانها مكسوة بطبقة صفراء أو كلسية . ويوجد في زاويتها الشرقية الشمالية بقايا درج صغير .

ولهذه القاعة رقم (٢) ثلاثة أبواب شمالية تؤدي الى فناء لم يتم الكشف إلا عن قسم منه . وظهر أن أرضه مفروشة بطبقة من الآجر التي تغطيها طبقة رقيقة من الملاط الجصي التي كان مرصوفا عليها مستطيلات زجاجية صغيرة (انظر الصورة ،) وتبلغ أبعاد كل من هذه المستطيلات نحو (١٦ × ١٢ سم) . ولم نعثر منها ويا للأسف إلا على قطع غير تامة . ولونها يميل الى الزرقة ، وسطوحها الملتصقة بطبقة الملاط ذات نتواءات محدبة تشبه تقاطيع ألواح (الشكولاته) . أما سطوحها العلوية فهي ملساء مصقولة . ولا ريب أن هذه الطريقة في تبليط أرض الفناء تشبه ما هو شائع في عصرنا في تبليط أرض غرف المنازل .

وتابعنا أعمال الحفر في الجانب الأيسر من هذا الفناء وكشفنا عن جزء كبير من الرواق رقم (٣) ، طوله (٤٦ م) . وأهم ما وجدناه فيه ، محراب يقع على بعد (٢٤ م) من أوله . وهذا المحراب محاط من كل جانب من جانبيه بعمود من الجص ملتصق بالجدار ، ولونه أصفر . وهو قائم على قاعدة مربعة ملونة باللونين الأحمر والأسود . أما وسط المحراب فمزين بصورة ملونة بالألوان المائية السوداء والزرقاء والحمراء والصفراء (انظر الصورة) . وتتالف مواضيعه من

أشكال هندسية منها نطاق عرضه (١٥ سم) ، وفوقه دائرة مقسمة وملونة ، وتتدلى منها حبيبات كروية كأنها جوانب المظلة . ويلاحظ أننا لم نعثر من هذه الصورة المائية إلا على قسمها الأيمن . أما وسطها وقسمها الأيسر فقد زالا بسبب سبر قام به الحفارون السريون في يوم من الأيام أثناء بحثهم عن الآجر .

ثم اتجهنا في تنقيبنا نحو الجهة الشرقية من القصر . فكشفنا التراب عن دهليز صغير رقم (٥) ، ينفذ المرء إليه من الباب الشرقي للرواق رقم (١) . وله باب آخر يشرف على فناء جديد ، وطوله (٨ م) وعرضه (٢،٥٠ م) . ثم مضينا في بحثنا حتى عثرنا على خمس غرف متلاصقة ومنتظمة على خط مستقيم في اتجاه الرواق رقم (١) . وتتصل الغرف الثلاث الأولى (٦ و ٧ و ٨) فيما بينها بأبواب . وتشرف كل منها على الفناء الجديد . أما الغرفتان الأخيرتان (١١ و ١٢) فإنهما متصلتان ببعضهما ، وللأولى منهما باب على الباحة . وليس للثانية من منفذ إلا الباب الذي يصلها بالأولى ، وأرضها مرتفعة عن غيرها بمقدار (١٥ سم) .

وعثر في جانبي باب الغرفة (٦) على قسمي إطار جصي مخرم . وأمامه قطع صغيرة جصية محطمة ومنهارة من هذا الاطار . كما التقطت من أنحاء أبواب هذا الجناح الغربي نحو (٣٥٠٠) قطعة جصية أخرى . فبلغ عدد ما توفر لدينا منها بعد انتهاء موسم الحفر نحو عشرة آلاف . وقد نقلت إلى مستودعات متحف دمشق ، حيث ما زال العمل جارياً على جمعها وإصلاحها واعادة تركيبها . وهي قطع جصية سريعة التفتت ، ومنحوتة بغير إتقان . وأجملها على الاطلاق قطعتا إطار الباب الشرقي للرواق رقم (١) . وتتألف مواضيعه من أشكال طريفة ومسدسة محاطة بحبال من اللآلىء ، ومملوءة بالأوراق النباتية الكبيرة . كما انه يوجد بينها وبين الحبلين المتقدمين بعض الأوراق النباتية الصغيرة (انظر الصورة) ومنها أيضاً وقطعتا إطار باب آخر . ويشاهد في الأولى عناقيد أعناب وأوراق الكرم مرسومة ومنحوتة بصورة مجملة ، وفي الثانية حبلان جانبيان من اللآلىء يحيطان بأوراق نباتية في الوسط محصورة في مساحات مستطيلة مفصولة عن بعضها بحبل من اللآلىء يمتد على شكل الزخارف المعروفة باسم الزخارف الاغريقية . ثم قسم من إطار لباب آخر (انظر الصورتين) .

ونأمل أن نتابع اعمالنا لاظهار ما تبقى من هذا القصر في خريف سنة ١٩٥١ .

جـ حفريات مديرية الآثار العامة في مقبرة تل النبي مند الرومانية :

بدأت بعثة موظفي مديرية الآثار العامة [1] في أواخر شهر حزيران من سنة ١٩٥٠ التنقيب في مقبرة النبي مند الرومانية الواسعة . وقد بقيت تل النبي مند منذ زمن حفريات بول بيزار [2] فيها خلال سنتي (١٩٢١ — ١٩٢٢) ، حتى هذه السنة دون أن يعاود الكشف عن آثارها بصورة علمية . وهذا ما شجع لصوص الآثار على أن يغيروا على كنوزها الدفينة من حين إلى آخر ، طمعاً في بيعها لبعض المتهوسين بالآثار أو بعض الهواة الغربيين ، وتقع منطقة المقابر الرومانية في جنوبي التل الغربي على مساحات واسعة جداً من طرفي الطريق الذي يؤدي إلى مزرعة اسمها (الرضوانية) . ويصعب الكشف عنها دفعة واحدة ، مما حدا بنا لأن نقوم بعدة أسبار في أرجائها . وقد أشرنا إليها بالأحرف (آ ، ب ، ج ، د ، هـ ، و) [3] ، وذلك بحثاً عن القبور الغنية التي يمكنها أن تقدم محصولا غزيراً من الأشياء الأثرية إلى متاحفنا .

وتم فتح سبعة وستين قبراً على أثر هـذه الأسبار . ووجدت هـذه القبور محفورة على أعماق تتراوح بين (٠،٣٠ — ٢،٩٠ م) في أرض كدانية مغطاة بطبقة من التراب الأحمر الزراعي الذي يبلغ عمقه بين (٠،٣٠ م — ٠،٨٠ م) . وقد تبين لنا أنه يتخلل منطقة المقابر مساحات صخرية لم يعثر فيها على أي قبر .

وجعلنا تسهيلا للعمل نشق أخاديد طولانية بطول (١٠ م) وعرض (٠،٥٠ م) وعمق (٠،٥٠ م) ، وتعاكس اتجاه بعض ما نعرفه من هذه القبور ، وذلك للبحث عن بقيتها . وكانت تجاربنا العملية في معرفة الأرض المحفورة قديماً ، من حيث اختلاف ألوان تربتها عن لون التربة المجاورة التي لم تحفر بعد ، تهدينا إلى مواقع القبور بسهولة . ولما توفرت لنا معلومات كافية عن ذلك ، وعن المسافات الفاصلة بين القبور . وعن اتجاهاتها بالنسبة إلى بعضها ، عدلنا عن طريقة شق الأخاديد ، وجعلنا نقوم بأسبار مباشرة فوق مواقع القبور التي كنا نتنبأ بها . وقد نجحت هذه الطريقة الثانية نجاحاً باهراً ووفرت علينا جهوداً كثيرة وأموالا وفيرة .

---

(١) على رأسهم المساعد الفني السيد زكي الأمير الذي نستخدم تقريره عن هذه الحفريات في كتابة هذه اللمحة الوجيزة عنها .

(٢) انظر كتابه الذي نشر بعد وفاته : Mourice Pézard : Qadech, Mission Archéologique à Tell Nebi Mind. Paris 1931.

(٣) يحسن الرجوع إلى هذا المخطط المنشور في القسم الغربي من المجلة .

ويمكننا أن نقسم القبور المذكورة إلى ثلاثة أقسام على ضوء ما قمنا به من مشاهدات .

١ — القبور العادية . وهي حفرات طولانية يتراوح طولها بين (١،٧٠ م — ٢،٢٠ م) ، وعرضها بين (٠،٤٠ م — ٠،٨٠ م) ، وارتفاعها بين (٠،٥٠ — ١،٤٠ م) . ولكل منها غطاء حجري أبيض أو أسود بازلتي . وقد وجدت على أعماق (١،١٠ م — ٢،٩٠ م) من سطح الأرض الحالية . وقد بلغ عدد هذا النوع من القبور التي حفرناها نحو (٦٢) قبراً .

٢ — النواويس الحجرية التي يتألف كل منها من صندوق حجري بحجم القبور المتقدمة . وهو مجوف بعمق (٠،٤٠ م — ٠،٥٠ م) . وجوانب هذا الصندوق يتراوح سمكها في جهاته الأربع بين (٠،١٤ م — ٠،٢٠ م) . وله غطاء حجري منحوت بحجمه تماماً . ويبلغ ارتفاعه (٠،٣٦ م) . وقد وجدت على ارتفاع (١،٣٢م — ٢،٢٠ م) وعددها (٤) .

٣ — لحد مشيد من أحجار منحوتة بيضاء على شكل حجرة صغيرة طولها (٢ م) ، وعرضها (٠،٦٧ م) ، وارتفاعها (١،١٨ م) . وتختص الأحجار التي استعملت في بناء هذا اللحد أنها كبيرة الحجم ومنحوتة نحتاً جيداً . ويتألف سقفه من أربعة أحجار فقط ذات أبعاد (١،٣٥م × ٠،٦٠ م × ٠،٣٠ م) . وكانت تعلوه طبقة ترابية ارتفاعها نحو (٠،٣٠ م — ٠،٤٠ م) . وقد وجدنا في أحد جدرانه ثقباً أحدثه فيه لصوص المقابر . ولم نعثر في داخله على أية أشياء أثرية .

وقد أفادتنا هذه الحفريات في تعيين مواقع القبور وفي دراستها دراسة علمية . اما الغنيمة التي عدنا بها من الأشياء الأثرية التي كنا نتوقع الحصول عليها فلم تكن ثمينة . وكانت معظم القبور المكتشفة ممتلئة بأكوام التراب المنهار . ويلاحظ أن الأشياء الأثرية التي رفعناها منها كانت موضوعة بجانب جماجم الموتى ، او حذاء أيديهم وأرجلهم . أما القطع الذهبية او خرزات الأطواق والأقراط فانها وجدت كما هو معلوم إلى جانب الرأس . وأخيراً فان الخواتم والجرار والأواني الفخارية والزجاجية ، وجدت بجانب اليدين أو الرجلين .

آ — الأشياء الفخارية :

ومعظم الأشياء التي جمعناها كانت من الفخار . وهي جرار وأوان فخارية دون طلاء أو مطلية . وعددها (٢٤) قطعة . وقد ظهرت خاصة في القبور (٣ و ١٠ و ٢٠ و ٢٩ و ٣٢ و ٣٦ و ٤٢ و ٤٤ و ٤٧ و ٥٤ و ٦١) .

أما الجرار فان بطونها كروية أو أجاصية ، وتختلف ارتفاعاتها بين (٤٥ سم — ٢٥ سم) . وفخارها أصفر مسود . ولكل منها عروة أو عروتان . وهي غير مطلية ومن النماذج الشائعة في العصر الروماني في سورية . وعددها عشرة قطع .

ثم أن الأواني الصغيرة ذات أشكال أجاصية ولها أعناق طويلة ، وتختلف ارتفاعاتها بين (١٥،٥ سم — ١١،٥ سم) . ولبعضها عروة واحدة . وفخارها أحمر أو أصفر أو أسمر . وعددها (١٢ قطعة) . ومنها أيضاً إناء من الفخار المطلي الأزرق الأخضر . وله قاعدة صغيرة . وارتفاعه ١٢ سم .

ب — الأشياء الزجاجية :

وتتألف من أوانٍ ومكاحل وخرزات بسيطة أو من الفسيفساء الزجاجية على أشكال مختلفة . وعددها (٢٦ قطعة) . وقد ظهرت خاصة في القبور (١٧ — ٢٤) و (٣٠ — ٣٤) . وعدد الأواني ثلاثة . وهي من زجاج عادي ذي (كمخ) . ولكل منها بطن أجاصي ، وعنق متطاول . وارتفاعاتها تتراوح بين (١٥،٥ سم — ١١،٥ سم) .

أما المكاحل فهي صغيرة الحجم ويبلغ عددها (١٢ قطعة) . وبطونها إما كروية أو أجاصية ، وأعناقها طويلة ، وارتفاعاتها تتراوح بين (٣،٥ سم — ١٢،٥ سم) . ومنها إناء صغير له شكل عصفور وذنبه محطم .

وأخيراً فإن الخرزات يبلغ عددها أربعين ، وهي من زجاج بسيط ، أو من الفسيفساء الزجاجية .

ج — القطع البرونزية :

وتتألف من حلي بسيطة ومن علبتين ومن جلاجل صغيرة . وعددها (١٠) قطع . وقد ظهرت خاصة في القبور (٢٥ و ٢٦ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٢ و ٣٥ و ٣٦ و ٤٥) . وتختص الحلي أن فيها سوارين وقرطين وخاتم أما العلبتان فيظن أنهما كانتا تستعملان لحفظ مساحيق التجميل أو بعض الزيوت . ولكل منهما شكل اسطواني .

وأخيراً فان الجلجل الصغير لا يتجاوز ارتفاعه (٦،٥ سم) . ويوجد أيضاً عدة جلاجل أخرى أصغر منه ويظن أنها كانت منظومة بين خرزات بعض الأطواق .

د – الأشياء الذهبية :

اقتصرت هذه الاشياء على خمس وريقات صغيرة تشبه وريقات شجرة الزيتون ، وليس فيها أية نقوش ، وقد وجدت في القبر (٤٦) .

٥ – قطع النقود :

وعددها (٤) . وقد ظهرت في القبر (٤١) . وقد نظفت غير أننا لم نتمكن ويا للاسف من قراءة ما عليها من كتابة بسبب زوال أحرفها زوالا تاماً .

و – عملية سبر في اخترين :

كلف القسم الهولاندي لمركز الاستشراق لدول (البنولكس) بعد استعانته باعتماد من مؤسسة الأبحاث العلمية الخالصة لوزارة المعارف ، العالم الهولاندي الاستاذ (فان ديرمير) القيام بأعمال السبر في أخترين الواقعة على بعد ٤٦ كيلو متراً من شمالي حلب على الخط الحديدي الذي يصل حلب بجرابلس .

وقد كتب لنا الاستاذ فان ديرمير كلمة عن أعماله وإليكم نصها :

يبلغ طول تل اخترين (٢٥٠ متراً) ، وعرضه (٢٥٠ متراً) ، وارتفاعه (٢٥ متراً) . وهو محاط بسور قديم ذي أحجار ضخمة جداً ، طول كل منها يتراوح بين (٣ — ٤ أمتار) ، وسمكه (١ متراً) . وعرض هذا السور بين (٣٫٥٠ م — ٣٫٨٠ م) ، في بعض الجهات ، وارتفاعه (١٠ أمتار) . وقد تهدم وزالت معالمه من الجهة الشرقية على مسافة ثلاثين متراً ، ولم تبق هناك إلا أسسه .

ويأتي وراء هذا السور ، التل الذي يبلغ ارتفاعه اولاً سوية السور على مسافة طولها (١٠ — ١٥ متراً) . ثم يعلو عنه بعد ذلك (١٥ متراً) . وقد طفنا في أرجائه وجعلنا نحفر بئراً في جهته الشمالية الشرقية حيث تقوم ذروته التي ترتفع (٣٠ متراً) ، فعثرنا على بقايا جدران يظن أنها كانت جدران قاعة . وعثرنا في أرضها على إناء فخاري (١٠ سم × ١٤ سم) ، وله عروتان منقوبتان ، وعلى وعاء من البازلت ، قطره (٢٥٫٥ متراً) ، وارتفاعه (١٣ سم) .

وتأتي بعد ذلك طبقة ثانية فيها أبنية سمك جدرانها (٣٠ سم) فقط . ووجدنا فيها دواليب لعجلة فخارية ، ودبوسا نحاسيا ورأسا صغيرة للربة عشتار .

وفي الطبقة الثالثة وجدنا قبراً فيه كؤوس ندوية تقوم كل منها على ساق مرتفعة . وفي داخلها آثار لحريق وتحوي عظام خرفان . ويظن أن هذه (آنية) كانت تستخدم في الطقوس الدينية عند اجراء احتفالات الدفن .

أما الطبقة الرابعة فان أبنيتها مغشاة بطبقة غليظة ، من الجص الأصفر . وأرضها من التراب المرصوص ، وعثرنا فيها على جرار فخارية ذات بطون منتفخة وأقعار مدببة ، ورؤوس على شكل ورقة نباتية ذات فروع ثلاثة . وهي تشبه الأواني الفخارية المماثلة التي وجدت في رأس شمرة ، والتي يعود عهدها إلى الزمن البرونزي الثالث . وكذلك فاننا وجدنا تماثيل صغيرة لعشتار من العهد نفسه ، وهي تشبه التماثيل الصغيرة التي عثر عليها في حماة . مما يدعونا للقول إن هذه الطبقة من العصر ذاته .

وتحتها توجد طبقة خامسة فيها أشياء أثرية كالتي ذكرناها ، ويلاحظ أن عمق هذه الطبقات الخمس متران .

ثم حفرنا بئراً ثانية في الجهة الغربية من التل . فعثرنا لما وصلنا الى عمق (٢٠ متراً) ، على سور سمكه (٤ أمتار) . وأمام هذا السور توجد مصطبة من الغضار مستورة بطبقة من الكلس . وأمامها باحة مبلطة بأحجار بيضاء كلسية . ولاحظنا أن السور مبني من بلاطات غضارية غير مطبوخة على النار ، على أسس حجرية غير مسواة . ووجدنا في غرفة تقع خلف هذا الجدار إناءاً عليه صليب بيزنطي . وهذا الاناء مكسور ومصلح قديماً . وإلى جانبه قطع من الخزف العربي القديم وقطع من الزجاج . وهذا ما سمح لنا بنسبة هذه الطبقة إلى عهد يرقى إلى ما بعد العهد البيزنطي بقليل ، ولا يستبعد أن تكون من زمن الأمويين . ويدلنا سمك السور على أن هذا المكان كان قلعة أموية بناها بنو أمية لتعزيز سلطانهم في هذه المنطقة .

وتحت هذه الطبقة توجد الطبقة البيزنطية التي عثر فيها على حطام آنية تشبه الاناء ذي الصليب البيزنطي . وسمكها (٢،٥ م) . وتحتها طبقة وجدت فيها قطع خزفية تشبه ما هو معروف عن عصر الحديد .

وعثرنا في سطح التل على قطع آنية فخارية مصقولة رومانية من النوع الممتاز ، مما يجعلنا نقول إن هذه المنطقة سكنت أيضاً في زمن الرومان ، وهذا يؤيد تحريات العالم (بواد بار) الذي

ذكر أخترين . ووجدنا نقوداً رومانية ، وقطعاً من الخزف اليوناني المصور تاريخه من العصر الهلنستي . وقد نزلنا في هذه الجهة الغربية الى عمق (٥ أمتار) .

ولاحظنا أنه يوجد في ثلاث جهات من القسم المسوى للتل جدران رفعت فيما بعد مما جعلنا نفكر أنه ربما كان هنا قديماً سور له مهبط . لهذا فاننا حفرنا بئراً ثالثة في الشمال الغربي من التل .

وتأكد لنا ما ذهبنا اليه . فقد رأينا هناك سوراً ومهبطاً تابعاً له ، كما وجدنا قطعاً من الخزف يعود عهدها الى العهد البرونزي الأول . وكذلك وجدنا تلقاء هذا السور قبراً مغطى ببلاطات غضارية مسواة تشبه ما هو معروف في العهد الفارسي والتي وجد ما يماثلها في (هاترا) . ولا ريب أن هذا القبر من طبقة موجودة في أعلى التل يعود عهدها الى هذا الزمن .

وفي القسم المسوى من التل وجدنا (ختما — اسطوانة) تامة مصورة تشبه الاسطوانات التي يعود عهدها الى زمن حمورابي .

وخلاصة القول إن عملية السبر المتقدمة أبانت لنا أن التل قد سكن منذ العهد البرونزي الأول إلى زمن الأمويين .

(تتمة أخبار الحفريات في العدد القادم) .

الأب فان دربمبر